فأنغامها تسيل نفوسٌ وبغير الانغام ليست تسيلُ
فسماعٌ اليه حنّت قلوبٌ وغناءٌ عليه حامت عقولُ
حسبنا قيدهُ بعلم صحيح تتجلّى به لدينا الأصولُ
فيكون المآل خير ختام لسماع طيّ الفؤاد يجولُ

اكتشاف صفيحة مسمارية

لحضرة الدكتور يوسف أوفورد
احد اعضاء جمعية علوم الآثار القديمة المتعلقة بالكتاب المقدس في لندن

قد نشر حضرة الاستاذ الشهير ميسنر (Meissner) منذ سنتين ملحقاً خطيراً لخرافة (mythe) جاجمش البابليّة المرقومة بالخط المساري. ويسرنا الان ان نعلن للقراء ان احد فضلاء الانكليز وهو العلّامة تاوافيلوس پنچس (Pinches) نشر في هذه الأيام اثراً نفيساً للاداب المسمارية. وهو عبارة عن بعض اناشيد للاله تموز ادونيس معبود ما بين النهرين. ولا يخفى ان العلّامة پنچس قارئ هذه الكتابة هو من العلماء المعوّل عليهم في اعمال كهذه. غير انهُ رغب بالتصريح لنا ترجمتهُ لهذا الاثر ليست نهائية وذلك لانّ الاناشيد قد كُتبت باللغة السومرية الاكادية دون ان تُنقل الى اللغة البابلية الساميّة او الى الاشورية ولا يُعرف من اللغة السومرية الاكادية الّا القليل فتعذّر اذاً اعطاء ترجمة مدققة لكتابة غامضة. ويستدل من خط هذا الاثر انهُ يرتقي الى ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح ولا جرم انّ هذه الاغاني او الاناشيد قد نقلت عن صفائح من الاجرّ اقدم عهداً. وقد اصاب صفيحتنا اتلاف عظيم وتشوّه كثير من اسطرها فزاد بذلك عناء المترجم

وتحتوي الكتابة المذكورة على ٢١٦ سطراً تصفها جليّ سهل القراءة وقد نُقل هذا الاثر الى مدرسة أونس (Owens) في مدينة منشستر وحُفظ فيها. والصفيحة كما قلنا عبارة عن اناشيد للاله تموز ولقرينته الالهة عشترت وإن كان الاله مراراً لا يُدعى باسمه المألوف فانّ الكلمة السومرية « مُتا » (بَعْل عشترت) قد استعملت اشارة اليه

تبتدئ الاناشيد بنداء عشترت لتموز ولربما كانت كهنة الالهة ترددهُ في هياكلها ايام عيد تموز السنوي والبكاء عليهِ . وفي هذا النداء عبارة من شأنها ان تؤثر في قلب الاله وتستجلبهُ لاستماع الدعاء وهي : « إرجع ايها القرين » ثم تخبرنا الاناشيد المسمارية انَّ اصوات النداء لتموز كانت تصعد وتتصدّ وتجعل الاله لها مطيعاً . وطالما يُلقَّب تموز في افتتاح هذه الاناشيد باسم الرب والسيّد واللفظة السومرية « ام » تقابل اللفظة السامية « ادون » ومنها « ادونيس » واماً عشترت وهو اسم الإلهة البابلي فانها تدعى « إنّانا » وهو اسمها السومري

وبعد هذه المقدّمة ورد في الاناشيد انَّ حاجزاً يقوم بين تموز وعشترت ويمنع الاله ان يسرع لصراخ ونداء قرينتهِ . ولربما يكون الحاجز المذكور باب الهوة والارض السفلى لانَّ الالهة اريشيجلّة (Erishégalla) — وهي اللات — تظهر لنا في هذه الاناشيد كملكة السلطة في حدود جهنم (Ἅδης)

هنا ينقطع الخبر عن تموز وعشترت لانَّ الكتابة مشوّهة وما يمكن ان يقرأ بعدئذٍ ما هو الّا انشودة ثناء وفرح بسبب رجوع تموز . وفي الخاتمة بعض عواطف حزن واسف لانهُ على الاله ان ينزل ثانيةً في الهاوية اذا ما حان الزمان لذلك

وفي اثناء الكتابة يُدعى تموز بابن المزمار وهو لقب على كل من يدرس هذه الخرافات ان يحفظهُ ولذا نجد في القصص المسمارية التي ترجمها منذ بضع سنوات العالمان سايس (Sayce) وأوپرت (Oppert) والملقبة « بتزول عشترت » انهُ كان يُهلّل لتموز على صوت المزمار : « اعزف لي بالمزمار يوم تموز واترك ايضاً الماهرين في الحان الحزن يعزفون لي »

ثم يستأنف النشيد ويصف مقرّ تموز في هاوية الارض السفلى المدعوة « ابزو » وابزو كانت سكناً لايا (Ea) وهناك مياه الجحيم الغزيرة ومن تلك الاقطار اتى الاله « اونيس » ليشقّف قاطني ما بين النهرين بالآداب على ما تنبئنا القصص الخرافية التي حفظها بروزوس . ويظهر انهُ كان فيها شاطئ حيث كان تموز يرعى قطعانهُ مثلما كانت هليوس (اي الشمس) ترعى قطعانها وراء البحر المحيط على طريق ارض الموت المظلمة

وبعد هذا تتكلم الاناشيد عن تموز كانهُ إله الحصاد والفلاحة وتقول انهُ لمّا

اضحى لنداء عشتروت ورجع اليها اخذت الزروع والاغراس تنبت الى فصل الخريف القادم

ولا نجهل انَّ تربية النباتات كانت احدى صفات عبادة تموز . ويجدر بنا التنبيه — اذا ما كانت الترجمة صادقة — اننا نقدر ان نقرأ اشعيا (ف ١٧ ع ١٠) كما يأتي: « انك تزرعين اغراس ادونيس نعانيم » . ونعمان العزيز ما هو الَّا اسم محبوب لدى تموز

وقد الحق العلَّامة بنجس بهذا الاثر بعض اناشيد بابلية يدعى بها تموز اله الانهار ومجاري المياه التي تنصب من ينابيعها وتخصب الحقول . وكان تموز احيانًا في بابل اله المياه ويُعبد بصنبها . ولهذا نقرأ في احد النصوص ان « صنبوا لتموز مياهًا نقية »

ولا يخفى انَّ عبادة تموز ادونيس في جبيل (Byblos) في سوريا كانت عبادة نهر ابراهيم اذا احمرَّت مياههُ بسبب التراب والاوساخ المتساقطة من جبال لبنان . فيظنون ان المياه انما تحمر من امتزاجها بدم الاله بعد ان مزقت جسمه مخالب الوحش الضاري

ومما يستلفت الخواطر هو انَّ عبادة تموز باقية الى الآن بين يزيدية جبل الاكراد مع عبادة الشمس او كما يقولون « الشيخ الشمس » وعبادة تموز عندهم سريَّة ويُعبَّر عنها بطير الطاووس ويدعونهُ « الملك الطاووس » وما هو الَّا تموز النبطيين الاقدمين والاله الذي يتكلم عنهُ حزقيال النبي (ف ٨ ع ١٤) : « ثم اتى بي الى مدخل باب بيت الرب الذي هو جهة الشمال فاذا هناك نساء جالسات يبكين على تموز »

واليزيدية يدعون الطاووس الاب الطاووس وحينما يقدمون لهُ العبادة يزيّنون ملابسهم بشقائق النعمان الحمراء اللون . وكانت هذه الزهرة مكرَّسة لادونيس وهو تموز بلسنهُ السوري ادون اي الرب والسيد كما تقدَّم . ويقول لنا الشاعر اللاتيني أوفيد : إن دم ادونيس ينمي شقائق النعمان . وانتقلت هذه الخرافات الى بعض العرب وقد اتتهم من سوريا او بابل فيسمون شقائق النعمان زهور جراح اودنيس . ويخبرنا الرحالة البيروني في القرن العاشر انَّ الصابئة كانوا يقدمون العبادة لتموز ينوح ويبكاء كما واننا نرى عبادة هذا الاله دائمة الى الآن بين اليزيدية